شكل الدولة وأثره في الجغرافيا السياسية

إعداد

أ.د / حسام جاد الرب

أستاذ ورئيس قسم الجغرافيا

كلية الآداب- جامعة أسيوط

ينتج شكل الدولة من موقعها ومساحتها وحدودها، وينتج عن اختلافها تنوع كبير فى أشكال دول العالم. فلكل دولة تقريباً شكلها الخاص والمميز، ويعد تماسك واتصال أجزاء الدولة أو ظهورها ككتلة واحدة من مميزاتها، فكلما كانت ملتئمة كلما قصرت أطوال الحدود بالنسبة للمساحة. ومن الناحية النظرية البحتة يعتبر الشكل الدائرى من أفضل الأشكال، حيث يعد شكلاً مثالياً وخاصة إذا كانت عاصمة الدولة تمثل مركز هذه الدائرة ويمكن معرفة الانحراف عن هذا الشكل المثالى عن طريق عمل نسبة بعد الحدود الحقيقية عن محيط هذه الدائرة، فكلما كان الرقم صغيراً كانت الدولة أقرب إلى الشكل المثالى، وكلما كان كبيراً كلما بعدت عن هذا الشكل المثالى. فعلى سبيل المثال رومانيا وسويسرا والمجر كلها أشكال أقرب إلى المثالية، بينما شيلى مثلاً تقليدياً للدول ذات الامتداد الشريطى الكبير إذ تمتد من الشمال إلى الجنوب لمسافة 2600 ميل على حين أن عرضها قد لا يتجاوز 100 ميل فإذا أضفنا إلى هذا وجود جبال الأنديز التى تزيد المواصلات تعقيداً وصعوبة أدركنا أن مشكلة الدفاع فى مثل هذه البلاد من الصعوبة بمكان، مما أدي إلى قيام مشكلات سياسية بين شيلي وجارتها الأرجنتين. كذلك الحال فى النرويج التى أمكن للألمان شل حركتها بالاستيلاء على المدن والموانى الساحلية التى تتحكم فى طرق المواصلات مع الداخل.

كما تظهر بعض الدول غير مثالية الشكل حين يظهر فيها أجزاء منفصلة عن الكتلة الرئيسية مثل ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية حين كان يشطرها الممر البولندى أو باكستان التى يفصل شطريها باكستان الشرقية وباكستان الغربية عن بعضهما مسافة 1000 ميل.

أما الدول ذات الشكل الدائري أو الأقرب إلى الاستدارة من أمثلتها فرنسا وأسبانيا، وهذا يعد من مزايا المركزية ويسهل الاتصال بين المركز والهوامش.

من خلال العرض السابق يمكننا أن نقسم الدول حسب الشكل على النحو التالي:

أ- **دولة مندمجة *Compact***: تتخذ شكلاً هندسياً مربعاً أو معيناً أو دائرياً مثل فرنسا، وسويسر، المجر، باراجوي ، النمسا، ورومانيا.

بساعد هذا الشكل على إقامة شبكلة متطورة من المواصلات، ويسهل الأتصال بين المركز (العاصمة) والأطراف. وتتميز الدولة المندمجة بقصر حدودها بالنسبة لمساحتها، أي أن لها ميزة استراتيجية كبيرة حيث أن شكلها يقلل من نقاط الضعف الدفاعية على الحدود.

ب- **دولة شريطية (مستطيلة)** : تتخذ شكلاً طويلاً مثل الزويج: أو مقرطاً في الطول مثل شيلي إذا يبلغ طولها 2600 ميلاً.

تنشأ صعوبات في الاتصال ومشاكل أمنية داخل الدولة الشريطية ، ولكن إذا ما توفر نظام سياسي قادر ومستقر يمكن أن يعالج مشكلة الشكل المستطيل كما جري في شيلي خلال مراحل طويلة.

ج- **دول متقطعة(ممزقة)** : توجد وحدات فرعية منفصلة عن الوحدة الرئيسية كالدول الجزيرية أو الأرخبيلية(مجموعة جزر) كالفليبين ، وأندونيسيا واليابان. يؤثر هذا الشكل في كيفية تنظيم الشؤون الإدارية والسياسية والاقتصادية داخل الوحدات الفرعية.

د- دول منكسرة: تقوم إذا وجد جزء، أو أكثر ، في حالة انفصال جغرافي عن كتلة الدولة السياسية، هذا ما كان في باكستان قبل استقلال بنجلاديش والواضح أن الدول الفاصلة يمكن أن تهدد أمن الدولة المنكسرة كما هو حال الهند بالنسبة لباكستان في شكلها القديم المنكسر.

هـ- **دولة مبعثرة:** هي دولة إمبراطوارية تتوزع أجزاؤها في مناطق مختلفة من العالم ، كما كان شكل الامبراطواريات البريطانية والأسبانية والبرتغالية حيث وجدت مستعمراتها في قارات مختلفة ، وهذا الشكل لم يعد موجوداً بعد انقضاء عهد الامبراطورية الاستعمارية.

ويرتبط بالشكل بعض الظاهرات الأرضية السياسية مثل الجيب السياسى والنتوء الجبلى السياسى والقطاع السياسى ورأس الكوبرى.

والجيب السياسى: جزء من مساحة دولة ما ويحاط كلية بأراضى دولة أخرى.

أما **النتوء الجبلى** السياسى فهو امتداد السيطرة الإقليمية لدولة ما عبر حدود جبلية وكان النتوء النمساوى فى التيرول الجنوبية قبل الحرب العالمية الأولى من أشهر النتوءات السياسية، وكان يمتد جنوب ممر برنر الذى يعبر جبال الألب ويسكنه سكان ناطقون بالألمانية وبعد الحرب العالمية الأولى ضمت إيطاليا التيرول الجنوبى وإن كانت مشكلة الناطقين بالألمانية لم تحل حلاً مرضياً بعد.

أما **البروز** فهو عبارة عن شريط ضيق من الأراضي يمتد من الدولة ليفصل بين أراضي دولتين متجاورتين أو يفصل بين أراضي دولة وبين البحر.ومن الأمثلة المشهورة لذلك النتوء الذي يطلق عليه أصبع كابريفي Caprivi's Finger في ناميبيا وهو امتداد من أرض ناميبيا يصل إلى نهر الزميزي ويفصل انجولا عن بتسوانا وزامبيا.

وهناك ظاهرتان ترتبطان بالموقع المتطرف فى شكل الدولة هما: القطاع السياسى ورأس الكوبرى، **والقطاع السياسى** هو امتداد ضيق لدولة ما ويمتد فاصلاً بين دولتين أخريين إحداهما عن الأخرى مثل البروز السياسى الأفغانى المشهور بين روسيا الاتحادية وباكستان..

أما **رأس الكوبرى أو الجسر** فهو امتداد للسيطرة الإقليمية لدولة ما عبر نهر ما، ومن أمثلة ذلك رأس الجسر التركي في الأراضي اليونانية على طول نهر المارتزا ، ورأس الجسر تدخل السفن البلجيكية أراضى هولندية وتخرج منها عند هذه النقطة من النهر .

وأهمية الشكل تبدو واضحة عندما يكون التماسك المساحى لأراضى الدولة مسألة حيوية للتكامل والالتحام، وهناك دول تجزأت أطرافها أما سياسياً أو طبيعياً. والرقعة المتصلة من سطح الأرض أفضل بكثير فى بناء الدولة من الأجزاء المجزأة بسبب وجود فواصل مائية أو سياسية بين أجزاء الدولة الواحدة. وفى بعض الحالات يكون تقطع الدول بسبب وجود وحدات سياسية أخرى تفصل بين جزء أو بين أجزاء الدولة. وفى هذه الحالات يكون ارتباط أجزاء الدولة مرهون بعلاقة الدولة بالوحدات السياسية التى تفصل بينها وبين بقية الدولة. وهناك حالات كثيرة لتقطع الدولة ليس بسبب فواصل سياسية (وحدات سياسية أخرى) ولكن بسبب فواصل مائية (بحار أو بحيرات) وهذا النموذج شائع ولا يعتبر فى الحقيقة تقطعاً إذا كانت المسافات التى تفصل بين هذه الجزر والوطن الأم مسافات معقولة، وإذا كانت المياه مياه إقليمية أو للدولة سلطان وسيطرة عليها مثال هذا النوع من الأشكال السياسية يعرف بالشكل المتقطع Fragmented مثل الجزر اليونانية العديدة المنتشرة فى بحر أيجه وإذا زادت الفواصل المائية بين هذه الجزر وأصبحت منتشرة فى مسافات كبيرة وفى مساحة كبيرة يسمى هذا النمط من أشكال الدولة بالنمط المتناثر Scattered مثل أندونيسيا والفلبين وغينيا الاستوائية.

ويطلق على الأجزاء المنفصلة من دولة ما والموجودة داخل أراضى دولة أخرى باسم: **الجيوب** ، أو **النتوءات السياسية** ويطلق عليها Enclaves بالنسبة للدولة التى توجد فيها واسم Exclaves بالنسبة للدولة التى تنتمى إليها. ولاشك أن تشتت أو انتشار أو تقطع أجزاء الدولة الواحدة يسئ إلى مناعة وقوة الدولة وتعتبر عيباً استراتيجياً للدولة التى تقطعت أجزاؤها. وهناك الكثير من النتوءات السياسية داخل دولة ما ولكنها تابعة لدولة أخرى مثل امتداد من ناميبيا داخل أراضى زامبيا. ومثال آخر من العالم الجديد ولاية آلاسكا التابعة للولايات المتحدة الأمريكية، والتى توجد إلى الشمال الغربى من كندا والتى تحيط بها الأراضى الكندية من الجنوب والشرق والتى لا تصل بينها وبين الولايات المتحدة حدود أرضية مطلقاً.

وهناك علاقة وثيقة بين شكل الدولة وموقع العاصمة، فإذا كان هذا الموقع فى المنتصف فيكون موضعاً أفضل ويحول دون سقوط العاصمة فى يد الأعداء، حيث أن سقوط العاصمة يعنى سقوط الدولة وانهيار لنظامها، ويمثل هذه الحالة الرياض وباريس ومدريد. أما إذا كان موقع العاصمة متطرفاً ويقع قرب الحدود فإن هذا يمثل خطراً على الدولة وتكون العاصمة مستهدفة دائماً من قبل الأعداء ويمثل نقطة ضعف للدولة ومن أمثلة هذه العواصم نجامينا عاصمة تشاد التى تقع على حدودها الغربية بالقرب من بحيرة تشاد.

وقد تقوم بعض الحكومات بنقل عواصمها ذات الموقع المتطرف للاتجاه نحو المركزية مثل نيجيريا والتى قامت بنقل عاصمتها من لاجوس فى الجنوب على المحيط الأطلنطى إلى أبوجا فى الوسط، وكذلك الحال فى روسيا الاتحادية والتى قامت بنقل العاصمة الروسية من سان بطرسبرج (لينجراد) المتطرفة إلى موسكو والتى تتوسط مركز الثقل السياسى فى الدولة نوعاً ما.

أما عاصمة الولايات المتحدة واشنطن فإنها متطرفة إلى الشرق من جسم الولايات المتحدة، ولكن اختيارها كعاصمة يرتبط بالنمو التاريخى للولايات المتحدة وعملية تعميرها بالسكان.

ومن هنا يمكن إيجاد شبه كبير بين العاصمة الأمريكية والعواصم المفروضة التى أقامتها القوى الاستعمارية على طول ساحل غرب أفريقيا فبالنظر إلى أن الاستعمار الأوروبى كان يسير بحذاء السواحل فقد اختار مناطق ارتكازه التى أصبحت عواصم فيما بعد على الساحل وعواصم كل من نيجيريا وبنين وتوجو وغانا وكوت ديفوار وليبيريا وسيراليون والسنغال وغينيا وجامبيا تقع كلها بلا استثناء على الساحل كأثر تاريخى لهذه المرحلة من الاستعمار، وكانت العواصم الوطنية للجماعات التى عاشت فى غرب أفريقيا لا تقع على الساحل، فقد كانت كوماسى عاصمة قبيلة الأشانتى فى ساحل الذهب (غانا) فى موقع متوسط بالنسبة لهذه القبيلة وكانت عاصمة داخلية وليست ساحلية .

ولعل مدينة القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية من أكثر عواصم العالم تحقيقاً لميزة التوسط، لأنها علاوة على الميزة الرائعة فى موقعها من الناحية الطبوغرافية تتوسط المعمور المصرى وتتحكم فى أى اتصال بين الوادى والدلتا، كما أن سكان كل من الوادى والدلتا متعادلان من حيث العدد تقريباً.

ناميبيا: نموذج لشكل الدولة غير المثالي

بتصرف عن: محمد عبد الغني سودي

شكل (29)